أولعت منذ حداثتي بتراجم العظماء فقرأت اولا كتاب سر النجاح ثم تصفحت مجلدات المقتطف فطالعت التراجم التي انطوت في صفحاتها مثل بسمارك ، وغلادستون من الساسة أو الاسكندر ، وهنيبال ، وقلب الاسد ، ونبوليون ، من القوّاد ، أو شكسبير ، وملتن ، وأبي العلاء ، من الأدباء أو طاليس ، وجليليو ، ونيوتن ، وارسطو ، وسبنسر ، من العلماء والفلاسفة ، أو ركفلر ، وروتشيلد ، وكارنيجي ، من رجال المال والأعمال ، أو سكوت ، وبيري ، وشاكلتن ، وامندصن ، من الروّاد . وقد تركت هذه التراجم في نفسي اثراً تحفّل بعد الدرس والاختبار وموالاة المطالعة في كتب التراجم الى ايمان بان خير الوسائل لعرض المعارف على الشبان والشابات وتشويقهم الى الاستزادة منها ، تقوم على ادماج الحقائق العلمية المختلفة في صلب تراجم العظام والعظمات وما فيها من حوادث ونوادر تسترعي النظر وتسرّي عن العقل . وكذلك يستطيع القارىء أن يستوعبها من دون عناء كبير ، لما تنطوي عليه من نزاع بين المادة والروح . وصراع بين عوامل التثبيط والحفز ، وقوة المشيئة وصلابة العزم ، وترفع عن الصغائر ، وعناية بالاركان ، والاعتراف بالفضل لذويه بعد خمول ذكرهم واضطهادهم في الغالب

هذا الاعتقاد حفزني الى العناية باصدار بعض هذه التراجم التي نشرها المقتطف مجموعة في ثلاثة كتب هي « أعلام المقتطف » و « الروّاد » و « رجال المال والاعمال »

وقد عنيت من بضع سنوات بجمع ما تيسر جمعه من سير أعلام العلماء ، توطئة لكتابة فصول ، تجمع بين لذة الرواية من ناحية ، وحقائق العلم مفرغة في قالب السيرة من ناحية اخرى . فوقعت لي كتب طالعت معظمها غير مرة ، لما وجدته في فصولها من تشويق . ولانني كنت ارغب في اقتفاء اثرها في وضع الفصول العربية . ونشرت بعض هذه الفصول في اعداد متفرقة من المقتطف ، وكان بعضها ملخصاً من كتاب او اكثر . ثم لما صحت العزيمة على اصدار هذا الكتاب جمعت بعض هذه الفصول واضفت اليها فصولا حديثة لم تنشر قبلا (هي فصول كوپرنيكوس ومكسول ودلتن وأفوجادرو وردرفورد وريط وبيرد وجانب كبير من فصول جليليو ونيوتن ودايفي وفراداي وهرشل) وجعلتها في أربعة أبواب

فالباب الأول يشتمل على طائفة من اكبر علماء الفلك الحديث وهم كوپرنيكوس وكبلر وجليليو ونيوتن وهرشل واينشتين

والباب الثاني يشتمل على طائفة من أشهر المكتشفين في ميداني الطبيعة والكيمياء وهم پريستلي ولافوازييه ودايفي ووهلر وفراداي ومكسول وميكلصن ولنجمير

والباب الثالث افردته لاهم الباحثين فى الذرة وتركيبها وهم دلتن وافوجادرو ومندليف وكورى وطمسن وموزلى ورذرفورد

فعلماء هذه الابواب الثلاثة اشتغلوا بكشف اسرار الفلك والكيمياء والطبيعة ، وجميعهم من ارباب العلم النظرى،ولكن معظم المخترعات الحديثة بنيت على مكتشفاتهم النظرية .لذلك جعلت الباب الرابع شاملا لسير ثمانية من الاعلام ،فى عملهم ناحية من تطبيق العلم على العمل ، وهم اربعة اطباء محدثين — أس وبانتيج وميتو وفاجنر يورج،واربعة مخترعين وهم اديصن ومركونى وريط وبيرد

اما الفصل الاخير فهو سيرة السر اوليفر لدج ، الذى بدأ حياته عالماً من الطبقة الاولى ، وانتهى عن طريق بحثه فى الاثير الى الايمان ببقاء الشخصية بعد الموت فبحثه فى الاثير كان الجسر الذى عبر عليه من الطبيعة الى ما وراءها ، ولعلّ رأيه فى الاثير والعقل و بقاء الشخصية خير فصل يختم به الكتاب

وقد تجاوزت الآن عن اعلام علوم الأحياء بفروعها المختلفة ، على رجاء ان افرد لمقدميهم كتاباً خاصاً ، اذا اتيح لى ذلك

ولا يخفى انى اغفلت طائفة كبيرة من علماء الطبقة الاولى ، امثال بويل وهوجنس وكرشوف وهلمهلتز و بنصن وديكارت ولابلاس من المتقدمين وارهينيوس واوستولد وبكرل و بهر وملكن و بلانك واستن وصدى من رجال العصر الحديث ، وذلك اما لضيق نطاق الكتاب ، أو لقلة ما عندى من الحقائق اللازمة لكتابة تراجمهم ، او لان ذكرهم جاء فى سياق الكلام على عالم بعينه فاكتفيت به الآن . فقلما نجد فى العصور المتأخرة عالماً انفرد ببحث كامل او اكتشاف مستقلّ كما فعل كبلر ونيوتن تقريباً فى تعيين افلاك السيارات وفى استخراج ناموس الجاذبية . فالكلام على طمسن والكهرب يشمل الكلام على كورى كذلك وولسن مصوّر الكهرب ، وملكن وزّان شحنته ، ورذرفورد مكتشف قسيمه البروتون . والكلام على رذرفورد يشمل ذكر صدى مساعده فى بحثه الاول المستقل، وموزلى مساعد فى منشستر ، وشدوك وكوكرفت وولطن وغيرهم من الشبان النوابغ مساعديه فى كمبردج

ولما كان الغرض من الكتاب الترجمة للعلماء ، فقد تناولت احياناً نواحى من مباحثهم العلمية ملماً ، فيجدر بمن يبغى التوسع فى بعض هذه النواحي ان يراجع كتابى (فتوحات العلم الحديث) وما كان من قبيله

وارجو بعد هذا ان أكون قد قمت بجانب يسير مما يجب علىّ نحو الثقافة العلمية العربية

القاهرة

فؤاد صروف